مُلخص الوجوديَّة

(مع قراءة المذكرة: من ص 113-123 ومن ص 132-148)

يُشكل "**الوجود**" المبحث الرئيس في الفكر الوجودي. وقد كان هيجل (مات 1831م) قد أغرق في المثالية والفكرة المطلقة والوجود المطلق، والابتعاد عن الواقع، واقع الفرد المعيَّن. فجاء الدنماركي **سورين كيركجارد** (1855م) –الذي يُعد أبًا للوجودية الحديثة– فقال: "إن الوجود المطلق المجرد ليس موضوعًا للفلسفة". فالوجودية تكف عن البحث في الوجود المطلق المجرد، وتبحث في الوجود الإنساني المعيَّن المُشخَّص المحدد. فقد انحصر اهتمامها في الوجود الإنساني الواقعي المفرد.

أهم وأخطر مقولات الوجودية المعاصرة: أن الوجود الإنساني الواقعي المفرد يسبق الماهيَّة. ففي جميع الفلسفات الأخرى؛ الماهيَّة تسبق الوجود. جاءت الوجودية وقلبت الأمر، فقالت: بل الوجود يسبق الماهيَّة[1]. يقول جون بول سارتر (1980م) شارحًا مقولته تلك: "إن السكين مثلاً حين يصنعه الصانع، فإن هناك لديه ماهية محددة للسكين سابقة لوجودها. أما الإنسان فغير ذلك تمامًا، فليس هناك ماهيَّة محددة له سابقة لوجوده، وإنما هو الذي يحدد ماهيَّته".

الحرية عند الوجودية: الوجود عند الوجودية مشروع من أجل تحديد الماهية، فوجود الحرية مهم لتحديد هوية الإنسان وماهيته بالاختيار الحر، والإنسان وحده يتحمل مسئولية هذا الاختيار. فالإنسان هو الذي يصنع ماهيته وصفاته الجوهرية بحرية تامة ومن دون تدخل من ايى قوة أخرى وبلا معرفة ولا هداية من أحد. ولذلك يشعر الإنسان بالقلق والخوف وبأنه لوحده في مواجهة

---

[1] والمقصود بالماهيَّة هو: ما يكون به الشيء شيئًا معينًا، أي الخصائص الجوهرية العامة للشيء.

الحياة والآخرين، فيعيش مآسي الدنيا بتعقيداتها معزولاً منفردًا، فيصل في النهاية للشعور بالاغتراب والضياع ومن ثم للعبث.

ويؤمن الوجوديون بحرية الإنسان المطلقة، وأن له أن يثبت وجوده كما يشاء، وبأي وجه يريد، دون أن يقيده شيء، وأنه على الإنسان أن يطرح الماضي وينكر كل القيود؛ دينية كانت أم اجتماعية أم فلسفية أم منطقية! ويقول المؤمنون منهم: إن الدِّين محله الضمير، أمَّا الحياة بما فيها فمقصودة لإرادة الشخص المطلَقة.

الموت عند الوجودية: هو النهاية المطلقة، فلا شيء وراء الموت، بل العدم!

الأخلاق عند الوجودية: الحق أو الصدق أو الأمانة لا تعتبر عند الوجوديين مشاكل فلسفية حقيقية، بل تشجن الوجودية حربًا شرسة على القيم الأخلاقية وضد العقائد الدينية، والسبب في ذلك أن القيم الأخلاق والتعاليم الدين تحد من الحرية الشخصية وتنقصها!

ولذلك تعتقد الوجودية بأن الأخلاق نسبية ومتغيرة ومتلونة، طبقًا لما يختاره الفرد بحرية شخصية تامة. فالفرد عالم قائم بنفسه يصنع لنفسه الأخلاق والعقائد والآداب التي يريدها، فيختار إن شاء الإباحية والانحلال، وإن شاء فليختر حياة الزهد والتقشف، فكل هذه الأمور هي من صناعته وهو الذي يختار ما يناسبه. ولذلك وصف المفكر الفرنسي (**روجيه جارودي**) الوجوديين بأنهم: "سفاحو الثقافة والفكر".

فالوجوديون لا يؤمنون بوجود قِيَم ثابتة توجه سلوك الناس وتضبطه، إنما كل إنسان يفعل ما يريد، وليس لأحد أن يفرض قيَمًا أو أخلاقًا معينة على الآخرين، وقد أدى فكرهم إلى شيوع الفوضى الخُلقية، والإباحية الجنسية، والتحلل والفساد، والوجوديُّ الحقُّ عندهم هو الذي لا يقبل

توجيهًا من الخارج، إنما يسيِّر نفسه بنفسه، ويلبي نداء شهواته وغرائزه دون قيود ولا حدود، والوجودية – في مفهومها – تمرُّد على الواقع التاريخي، وحرب على الأديان.

العوامل التي اثرت في نشأة الفكر الوجودي: تفاعلت عدة عوامل في البيئة الغربية المحلية وأنتجت الاتجاه الفلسفي الوجودي. فكانت الوجودية بمثابة **رد فعل** مباشر وغير مباشر لهذه البيئة. ومن تلك العوامل:

1- فلسفة هيجل، التي لا تأبه بالفرد أو بالذات الفردية، وإنما تركز على الكليَّ والمطلق.
2- الماركسية، حيث كرست الماركسية الاهتمام للجماعة على حساب الفرد.
3- واقع الإنسان الغربي في ظل الحضارة الغربية المادية، حيث يعيش في ضياع وقلق وفقدان الهوية والمغزى من الحياة.
4- مآسي الحربين العالميتين، وما جرته النزاعات الشيوعية والفاشية والنازية من ويلات ونكبات وبلايا على الإنسان الغربي.

كل هذه العوامل التي تفاعلت في البيئة الغربية أنتجت الفكر الوجودي ليعبر عن نفسه وذاته من خلال ما يعيشه واقعًا وفعلاً. فكانت الوجودية في الحقيقة وصفًا دقيقًا وتعبيرًا صادقًا عن معاناة الفرد في الغرب وعن الضنك والتخبط الذي يعيشه الإنسان هناك.

رواد وأعلام الوجوديَّة:

تُقسم الوجودية عادةً إلى تيارين:

أولاً: الوجودية المؤمنة: وروادها كيركجارد الدنماركي، وكارل ياسبرز.

ثانيًا: الوجودية الملحدة: وروادها مارتن هيدجر، وجون بول سارتر. وهي الأغلب والأشهر.

الله والأديان عند الوجوديين: يكفُر الوجوديون بالله ورُسله وكتبه، وبكل الغيبيات، وكل ما جاءت به الأديان، ويعتبرونها عوائقَ أمام الإنسان نحو المستقبل، وقد اتخذوا الإلحاد مبدأً، ووصلوا إلى ما يتبع ذلك من نتائجَ مدمرة، ويرون أن الأديان والنظريات الفلسفية التي سادت خلال القرون الوسطى والحديثة لم تحلَّ مشكلة الإنسان.

الإنسان عند الوجوديين: يؤمنون إيمانًا مطلقًا بالوجود الإنساني، ويتخذونه منطلقًا لكل فكرة، ويعتقدون بأن الإنسان أقدم شيء في الوجود، وما قبله كان عدمًا، وأن وجود الإنسان سابقٌ لماهيته، ويقولون: إنهم يعملون لإعادة الاعتبار الكلي للإنسان، ومراعاة تفكيره الشخصي، وحريته، وغرائزه، ومشاعره.

نقد الوجودية: بيان بطلان الوجودية لا يحتاج إلى كبير جهد؛ ففسادها يغني عن إفسادها، وتصورها كافٍ في الرد عليها. فآراء سارتر وآراء الوجودية لا تحتاج إلى جهد كبير لتفنيدها، وكشف زيوفها؛ فهي أقل من أن توضع بين الفلسفات التي تستحق المناقشة، والاعتراض، والنقد.

وفيما يلي ذكر لبعض الأمور التي يتبين من خلالها بطلان الوجودية وزيفها:

أولاً: بطلان قولها بإنكار الخالق: فالوجودية أنكرت وجود الخالق -عز وجل- وهذا الأمر منقوض بالشرع، والعقل، والفطرة، والحس.

ثانيًا: بطلان دعواهم إلى الحرية المطلقة: فلقد دعا الوجوديون إلى الحرية المطلقة زعماً منهم بأن هذا هو الطريق الوحيد لأن يثبت الإنسان وجوده. ويقال لهؤلاء: ما مفهوم الحرية عندكم؟ أهي على حساب حريات الآخرين؟ أم على حساب القيم والمبادئ؟ وهل الإنسان إذا أطلق العنان لنفسه وشهواته يكون حراً فيثبُت وجوده من خلال ذلك؟

الجواب أن هذا فهم خاطىء للحرية؛ فهي لا تكون بإطلاق الشهوات، ولا تكون على حساب الآخرين، فإذا لم تضبط بالشرع أصبحت البشرية كقطيع من البهائم السائبة، لايردعها دين، ولا يزُمُّها حياء، ولا يحكمها عقل.

وإذا كانت الغاية من الوجودية هي أن تحقق للإنسان وجوده فإن ذلك مقرر في الإسلام في إطاره الطبيعي، وضوابطه الأصلية، التي تحمي وجوده وكيانه، وليس للإنسان أن يطلق العنان لتحقيق شهواته فيدمر نفسه و يدمر الآخرين.

ثم إن الإنسان – أي إنسان – عبد، لا ينفك عن هذه العبودية طرفة عين. فإذا رضي بعبودية الله تحرر مما سواه، وإلا تناوشته سائر العبوديات، فصار عبداً للشهوة، أو عبداً للشهرة، أو عبداً للمال أو المنصب، أو عبداً للأصنام، ونحو ذلك.

ثالثًا: الحرية المطلقة سبب للشقاء، والدمار، والتفكك، والانهيار. ولا أدل على ذلك من حال الدول التي يشيع فيها هذا النوع من الحرية؛ فهي تعاني الأمرَّين من السرقة، والشذوذ، والأمراض الجنسية، والانتحار، وما جرى مجرى ذلك مما يطول ذكْرُه.

رابعًا: قيامالوجودية على التناقض والجهل، ومخالفتها للحقائق، فمما يكشف زيف الوجودية أنها قامت على التناقض، والجهل، ومخالفة العلم والعقل، والحقائق الثابتة. فلقد قدم سارتر وسائر الوجوديين آراءهم على أنها أحكام تقريرية، دون أن تُؤيد بدليل علمي، أو حسي، أو واقعي.

فما قيمة آراء وأفكار من هذا القبيل؟ !

إن أي صاحب خيال يستطيع أن يقول أيَّةَ فكرةٍ تخطر في وهمه، فيزينها بصبغة كلامية، ويزوقها بزخرف من القول، ثم يطرحها في ميادين الفكر، ويجعلها مذهباً فكرياً. ولكن عند النظر فيها لا يثبت لها قدم، ولا يستوي لها ساق. وكما قدم الوجوديون أحكاماً تقريرية بدون أي دليل، أنكروا حقائق يشعر بها الناس جميعاً بدون أي دليل. ونظراً لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع الوجودية إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار، بل انهارت وسقطت.

خامسًا: شذوذ روادها وانحرافهم: فلقد قامت الوجودية على أيدي دعاة كانوا جميعاً من الشذاذ، وكانت حياتهم مليئة بالاضطرابات والقلق. وهذا يدل على بطلانها؛ ففاقد الشيء لا يعطيه. ثم إن كتابات أربابها كانت متسمة بالانحراف والسقوط؛ فهم يُعَنْوِنُونها دائماً بعنوانات ساقطة، ينفر منها الذوق السليم، وتأباها الفطرة القويمة. ومن مقالاتهم في ذلك: القلق، الحائط، الذباب، الغثيان، التمزق، اللامعقولية.

سادسًا: آثارها ونتائجها المدمرة: وهذا يدل بجلاء على فساد تلك الفكرة وزيفها؛ ذلك أنها قامت –فيما تزعم– من أجل إسعاد الفرد، ورد اعتباره. فما النتيجة التي حصلت بالدعوة إليها؟ وماذا حدث من جراء اعتناقها؟ النتيجة أن انتشر التشاؤم والقلق، والحيوانية، والضياع، والخوف الرهيب، والانتحار والتمرد، والأنانية المفرطة. أضف إلى ذلك ضياع المشاعر الإنسانية، كالمحبة، والرحمة، والإيثار، ونحو ذلك كلها ضاعت في مستنقع الوجودية الآسن.

يقول **بوخينسكي** أستاذ الفلسفة بجامعة (فريبورج) بسويسرا بعد عرضه آراء سارتر في الوجودية: "وليس في وسعنا هنا سوى الاقتصار على ذكر النتائج الأخلاقية التي ترتبت على هذه الفلسفة، والتي تمثلت في نكران كل القيم، وكل القوانين الموضوعة، وهي ادعاء عدمية واستحالة وعدم جدوى الحياة الإنسانية".